رحلة رسولية

في بلاد الجليل الاعلى

حضرة الاب فردينان توتل اليسوعيّ (تنمّة)

عين ابل

عين ابل قرية كبيرة واقعة في منطقة الانتداب الفرنساوي قضينا فيها يومين لإراحة النفس من اتعاب الرسالة فسنحت لنا الفرصة لمعاينة آثار الخراب الذي احدثتهُ في البيوت حوادث سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ وقد اسرع الناس وجدّدوا بناء كنائسهم الّا كنيسة الروم الكاثوليك فانها لا تزال على خرابها . وكان دير الآباء اليسوعيين وراهبات القلبين الاقدسين قد أُحرق فأُعيد الى رونقهِ القديم

وفي زاوية بستان هذا الدير القبليَّة تستريح في ظلّ الصليب المقدّس ورجاء القيامة عظام ثلثةٍ من مرسَلي رهبانيَّتنا الذين تفانوا في خدمة بلاد البشارة وهم الآباء سارو فيم سكُّوني ويوسف حوّاء ولاون خوّام . وهناك أُقيم في العام الماضي مدفن شهداء الحوادث المذكورة وقد دُوّنت اسماء اولئك الابرار فوق ضريحهم

امّا مقبرة البلد فوجدناها في حالة من الاهمال لا تليق بالموتى المؤمنين وقد رأينا بعض القبور مفتحة ورفات الموتى ينخرها الدود وجماجم مكوّمة في الحفر وبقايا اخشاب النعوش تعثر بها الارجل . فكيف يرضى الاهلون باستهانة موتاهم واعزّ اقربائهم فليهبّوا ويستدركوا هذا الخلل ويصلحوا قبورهم وينصبوا فوقها راية الصليب المقدّس فانَّ عصر الهمجيَّة قد مضى واضاءت شمس الحوّيَّة على مساكن الموتى ومنازل الاحياء سواء . واملنا وطيد بأنَّ تلك الأيام المشؤومة التي روى لنا الشهود العيان تفاصيلها الفاجعة لن تعود تتجدّد ابد الدهر

ومما افادنا سكّان عين ابل عن بلدهم حاضرًا انَّ عددهم يبلغ ٩٥٠ نسمة منهم ٨٠٠ ماروني و ١٥٠ روميًا كاثوليكيًا هذا ما عدا ٤٠٠ منهم استوطنوا حيفا

ونحو ٦٠٠ هاجروا الى اميركا. وقد ذهب منهم في أيام الحرب الكونيَّة ٤٢٠ ضحايا المجاعة والعلل المنهكة يضاف اليهم ٥٠ من قتلى السنين الاخيرة. واصل كثيرين من اهل عين ابل من لبنان فبيت دياب من جبَّة بشري ولهُ فرعٌ في حلب وبيت عتمه من مشموشة وبيت خويش من بشري وبيت حصرون من حصرون

فصوطا

فَصُوطا من الجليل الاعلى في منتصف الطريق بين صفد وعكا داخلة في منطقة الانتداب البريطاني تبعد ستّ ساعات عن صفد يقطعها المسافر بين تشعُّبات الآكام والاودية الى ان يبلغ به المسير الى جبل تزينهُ اشجار السنديان والغار والبطم والمُلول. ومن قمَّتهِ تُرى القرية تُحدق بها مراعي المواشي ومزارع الغلَّات وبها يرتزق السكَّان

ومِمَّا وجدناهُ في طريقنا صوَّانةٌ من الظرَّان محدَّدة الرأس منحوتة الاطراف على شبه الشفار القاطعة وقد أكَّد لنا المكاري دليلنا انَّ هناك فوق ربوة قريبة كثيرًا من هذه المصنوعات الراقية لطور البشريَّة السابقة لاكتشاف الحديد

ولمَّا اشرفنا على القرية رأينا الحقول مُتَّشحة بالزهور يفوح منها عَبَق الربيع والبراريّ قد كساها الربيع ثوبًا سندسيًّا تقرُّ لنظره العيون والمواشي تسرح في وسطها فترعى حشيشها في فصل الربيع

وعلى يمين الداخل الى القرية نبعهم الوحيد الذي منهُ يستقي السكَّان وترتوي المواشي لكنَّ لهم صهاريج يخزنون فيها مياه الامطار. ومياه نبع فصوطا عذبةٌ تتدفَّق بغزارة ولهم في اسفلها حوضٌ واسع شبه الخزَّان عمقهُ ثلاثون مترًا يجمعون فيهِ ما فضل عنهم من مياه النبع فاذا امتلأ ظهَرَ كأنهُ البحيرة يستقون منهُ ما شاؤوا في فصل الشتاء. فاذا اقبل الصيف تناقصت المياه وغارت فيجعلون على ما فضل منها حارسًا ليلَ نهار يراقب الاهالي ليأخذ كلٌّ قسطهُ دون زيادة

وفصوطا تعلو فوق البلاد المجاورة يكشف منها الناظر شرقًا على جبال يعقوب وجرمق وغربًا على البحر ومنها تُرى الحدود الفاصلة بين سوريَّة وفلسطين. وفي القرية عدَّة آثار قديمة ربَّما وقف عليها الاهلون عند حفرهم الاراضي للبناء او للزراعة. منها كهوف ومغاور كمغاور الجشّ ومنها معاصر للزيت والخمر منقورة في جوف الصخر.

وهناك ايضاً كثير من نحيت الحجارة الضخمة تدلُّ على عظم شأن المكان في سابق الاجيال. وكان للصليبيين فيها قلعةٌ حصينة يدعونها بقلعة فازوس (Casal Fasoce) (تصحيف فصوطا كانوا يرصدون منها الثغور ويهاجمون مَن حاول نقض حبل الامان (١ وهذه القلعة قد بُنيت على انقاض مدينة بزنطيَّة قد صبر الدهر على بعض آثارها منها اعمدة مكلَّلة بتيجان من الطرز الكورنثي . بينها تاج نُقش على جانبيه صليب متساوي الشُعَب وتلك الآثار موجودة في كنيسة فصوطا القديمة التي يسكنها اليوم احد الاهلين وعلى بابها عتبة مزخرفة بالزهور والاغصان الجميلة النقش. وقد اقام راعي الابرشيَّة الجليل السيِّد غريغوريوس حجّار بدلًا منها كنيسةً جديدة كبيرة حسنة البناء

وقد وقفنا على آثار اخرى في بيت ميخائيل الشمّاس منها قطعة عمود كان ركناً لمائدة المذبح اكتُشف حديثاً. ووجد الخواجا يوسف النجّار في حقله آثار فسيفساء. بلَّغ امرها للحكومة فأمرت بسترها. ومما عثرنا عليه في فصوطا نقود قديمة منها رومانيَّة ومنها بزنطيَّة

وعدد سكّان فصوطا لا يكاد يزيد عن الثلثمائة يمتاز بينهم آل الخوري وأيوب وابو شهلا وعيلبوني وكلُّهم من الروم الكاثوليك. ولهم مدرسة للصبيان يديرها بكل غيرة نمر افندي مصر . ومن فضل هذا الرجل اهتمامهُ بزراعة وطنه فانهُ اقتنى ارضاً جدباء محجرة فسعى بعزقها وحرثها ثمّ زرعها تبغاً وبطاطا وغرس فيها ضروب الاشجار المثمرة وجعل قسماً منها كرماً فاصبح خير قدوة لاهل وطنه بتربية اولادهم وزراعة املاكهم.

قضينا في فصوطا الاسبوع الرابع من الصوم فبارحناها شاكرين القلب الالهي على ما رأينا في اهلها من الاقبال على المواعظ والنشاط على التقرُّب من سرّي التوبة والقربان الاقدس

سعسعا

هذه القرية واقعة على علوّ ٨٠٠ متر فوق سطح البحر سرنا اليها عن طريق طرشيحا

(١ اطلب وصف جيران للجليل (Guérin,: *La Galilée*, II, 67)

وهي تبعد نحو اربع ساعات عن فسوطا ومعظم اهلها مسلمون سنّيون يتراوح عددهم بين ٥٠٠ و ٥٥٠ نسمة. اما النصارى فمنهم الروم الكاثوليك وقد كان عددهم ما بين ١٦٠ الى ٢٠٠ وانّما هاجر اكثرهم الى حيفا والى بصّة لينجوا من ظلم مواطنيهم فلم يبقَ منها سوى ٤٠ نسمة. ومنهم الروم الاورثدكس كانوا لا يزيدون عن ثلاث او اربع عائلات فلم يبقَ منهم سوى عائلة واحدة ارتدّت منذ عهد قليل الى الكثلكة فاتخذوا كنيستهم لاقامة الرتب الدينيّة لحبها اما كنيسة الكاثوليك القديمة فقد جعلها خادم الرعيّة سكناً لهُ واسم الكاهن الاب فيلبوس زبيدي . وقد سرد لنا احد الشيوخ اسماء الكهنة الذين سبقوهُ وهم يوسف سمعان ثمّ جرمانوس شفاعري ثمّ امبروسيوس خوّام ثمّ الكسيوس الحاج ثمّ انطون نعمه ثمّ جرمانوس لاون . اما وجهاء النصارى في سحماتا فبيت قيصر سمعان وبيت سلّوم . ووجوه سحماتا المسلمون الشيخ حسين الحبشي وبيت العبد عليّ والحاج اسعد مختار

وسحماتا غنيّة بالآثار القديمة منها عاديّات تدلُّ على حضارة تلك البلاد في اوائل القرون المتوسطة . وقد ذكر العلّامة جيران (Il. 74) بركة سحماتا بين رابيتين شُيّدت القرية عليهما . وقد فاتهُ ذكر فسيفساء يبلغ سطحها ما يقارب اربعة امتار مربّعة على طرف البركة الشرقيّ ولعلّها ظهرت حديثاً وهي بمثابة مصطبة ينزل المستحمّون منها الى البركة وما فوقها على قمّة احدى الاكمتين بقايا القلعة التي نسب جيران تشييدها الى ظاهر العُمَر . وقد أطلعنا رجل من المسلمين على حجر مربّع يبلغ طولهُ ٤٠ سنتمتراً مرقوم عليهِ كتابة عربيّة لم يسمح لنا الوقت بامعان النظر فيها للوقوف على مضمونها

وفي شمالي شرقي سحماتا خربة يدعونها خربة الحلّة تدلُّ انقاضها على عظم شأنها سابقاً . منها نقوش وآثار دينيّة تدلُّ على انَّ هناك كانت كنيسة . واخبرنا الراوي انَّ حاكم عكّا الانكليزي قصد القرية العام الماضي ونقل من الحلّة عتبةً كان عليها تاريخ فامر بنقلها الى القدس . وفي خربة الحلّة مقبرة نصارى سحماتا وهي قديمة يزعمون انّها ترقى الى عهد الصليبيين

اقتصرنا في سحماتا على القاء بعض الارشادات واعداد المؤمنين لواجباتهم الفصحيّة

ثم غادرنا القرية قاصدين البقيعة وفي صحبتنا كاهن طرشيحا الخوري المخلصي النيور الاب ابرهيم الحدّاد

البقيعة

هي واقعة في جنوبيّ طرشيحا على مسافة ساعتين منها وترتفع ٥٨٦ متراً عن سطح البحر. يناهز عدد سكّانها الخمسمائة. النصف منهم تقريباً دروز لهم في البقيعة خلوتان وحارتان شرقيّة رئيسها محمود اسعد سلمان وغربيّة رئيسها عبدالله صالح وكلتاهما في نزاع وخلاف وللدروز زعيمٌ هو شيخ طريقة يقيم في جونس. وفي البقيعة ما خلا الدروز ١٥٥ من الروم الاورثدكس و ٥٤ من الروم الكاثوليك اهمّهم بيت مخّول وبيت بيطار ثم ٥٥ يهودياً وافراد من المسلمين. وفي البقيعة مدرسة واحدة لعموم الاهالي تقوم الحكومة بنفقاتها

وفي وسط البلدة عين غزيرة تتفجّر من قلب الصخر فتحرّك مياهها طاحونين وتروي البساتين ثمّ تجري الى وادي القرم فتمور هناك. ولاريب انّ الفضل في وجود المياه في البقيعة عائد الى حرص اهلها على الاشجار التي تكلل الاكمة الواقعة في شرقيّها. قلتُ «الاشجار» بل هي شجرة واحدة عريقة في القدم تأصّلت جذورها في الصخر فشقّته ثمّ تفرّعت حتى اصبحت غابةً صغيرة ويكاد يبلغ جذور هذه الشجرة اربعة امتار يدعونها الخَرّوبة المباركة وقد اتّخذها اليهود مزاراً يحجّون اليه يزعمون ان بني يعقوب سكنوا ١٨ سنة في ظلّها واهل البقيعة يكرمونها ولا يمسّها احد منهم بأذًى ولذلك ترى حولها أكواماً من الاوراق اليابسة والاغصان التي تهصرها الريح شتاء فتختزن في اعماقها الرطوبة والماء من الشتاء الى الصيف فتروي الناس من العطش كما يقونها من التلف. وقد زارها مفوّض فلسطين السامي السير هربرت صموئيل

وبساتين البقيعة حافلة باشجار المشمش والعنب والتين والتوت والسفرجل وتزكو في تربتها انواع الخضرة والبقول ولهم قطعان الماعز يُعنون بتربيتها الّا انها معرّضة لداء يسمّونهُ الفسرق وهي دودة صغيرة سوداء ضاربة الى الحمرة تعلق برأس العنزة او بحلقها فتلسعها فتدوخ لساعتها وتمتنع عن الرعي الى ان تموت بعد ثلثة أيّام وهذا الداء يظهر على ما قيل كلّ ثلث سنين فيفتك بالماعز من اواسط ايلول الى اوائل

كانون الاوّل وحتى الآن لم يجدوا لهذا الداء علاجاً الّا ان يسمى الراعي ويطهّر الحيوان من هذه الدودة القتّالة

وقد اسفنا لحالة الكاثوليك في هذه القرية اذ لا كنيسة لهم ولا كاهن يخدمهم وانما يأتيهم من وقت الى آخر كاهن سحماتا لقضاء واجباتهم الدينيّة فيجتمعون للصلاة ولتقدمة الذبيحة في احد بيوت الكاثوليك وهكذا فعلنا نحن . وقد قضينا بينهم أيّاماً فحرّضناهم على الثبات في ايمانهم على الرغم من المصاعب التي يلاقونها واغتنمنا تلك الفرصة لصبغ طفلين منهم بمياه المعموديّة ثمّ يمّمنا طرشيحا مع حضرة الاب ابرهيم

طرشيحا

هي قرية موقعها على رابية بديعة تعلو عن سطح البحر ٤٩٢ متراً ويبلغ عدد سكانها الالفين منهم زهاء ٣٠٠ ملكيين و ٥٠ ارثوذكسيًّا والباقون مسلمون . والنصارى يعيشون بمزاولة الصنائع ومن وجوههم فتح الله النحّاس وسليم بشارة وبرجس الحج ونجيب شاهين . امّا المسلمون فيتعاطون الفلاحة واعيانهم احمد اغا الحج قاسم ومحمّد الشيخ صالح وكامل افندي رئيس البلديّة ولهم ثلاثة جوامع شيّد عبدالله باشا اكبرها . امّا المسيحيّون فلهم كنيسة جديدة في جوارها مدرسة للاولاد وللغوري مسكن لائق مرتّب

وفي طرشيحا تقام في كلّ اسبوع سوق مشهورة تُعرف بسوق الثلثاء يتقاطر اليها اهل القرى للبيع والشراء تغنيهم عن الذهاب الى مدن الساحل

وقد تعزّى قلبنا بما وجدناهُ في اهل طرشيحا من النشاط لحضور حفلات الرياضة التي اقيناها في كنيستهم وكان حضرة خوري القرية يستنهض الهمم ويبعث النخوة في قلوب ابنائه ليأخذوا نصيبهم من نعمة هذه الرياضة فكان لصوته صدى مؤثّر فلم يكد يتأخر منهم احد لاتمام الفرائض الدينيّة وقبول الاسرار

معليا

هي قرية جميلة الموقع فوق تلّ عالٍ يُصعَد اليه بشبه المراقي والسطوح التي تزينها

ضروب المزدرعات ولاسيَّما التبغ والتين وهي لا تبعد عن طرشيحا الَّا ميلَين وبين القريتين حوضٌ ترتوي منهُ المواشي طول السنة قلَّما تنشف مياههُ صيفاً وهو منقور في الصخر

سكَّان معليا كلهم من الروم الكاثوليك يبلغ عددهم ٥٢٠ وكان فيها سابقاً مسلمون كما تدلّ عليهِ بقايا جامع استولى عليهِ الخراب . ومن اعيان معليا آل لبوس وقسيس وشوفاتي وعسَّاف . وفيها مدرستان الواحدة للصبيان والاخرى للبنات تُعنى بتعليمهنَّ وتهذيبهنَّ راهبات قلبي يسوع ومريم منذ عهد مديد فترى تأثير هذه التربية في سائر اهل القرية

وليس لمعليا نبعٌ يشربون منهُ وانَّما شربهم من مياه الآبار فاذا نشفت استقوا من عين وادي القرن التي تبعد عن البلد مسافة ساعة

وفي قمة الاكمة المبنيَّة عليها معليا آثار قلعة شيَّدها الصليبيُّون ودعوها بالحصن الملكي ابتاعها الفرسان الالمان سنة ١٢٢٠ فاتَّخذوها كضرح دافعوا عنهُ دفاع الابطال وامَّنوا نواحيهُ من غارات العدوّ

وليس بعيداً من معليا آثار جليلة لقلعتين اخريين لعبتا في عهد الصليبيين دوراً مهمًّا نزيد بهما قلعة القرين وقلعة جدين وقد سبق حضرة الخوري ابرهيم حزفوش فوصفها ونشر رسمها في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ١٠٣٨) فنُحيل القرَّاء الى ما كتبهُ عنهما

وقد اسعدنا الحظّ الى اكتشاف اثرٍ آخر جليل لم ينشرهُ قبلنا احد ألَّا وهي كتابة يونانيَّة راقية الى القرن السابع وجدت قبل سنتين في مزرعة زيتون اسمها خربة عليا قريباً من الحوض المذكور آنفاً الواقع بين معليا وطرشيحا وهذه الكتابة وقفنا عليها في بيت الياس جبران في معليا رآها عندهُ حاكم عكَّا الانكليزي فطمع بها وصرَّح برغبتهِ في نقل هذا الاثر ولعلَّهُ الآن نقلهُ الى متحف القدس . وقد انتهزنا الفرصة لمَّا رأيناهُ فنسخنا الكتابة بكل ما امكننا من الضبط ثمَّ عرضناها على احد اخوتنا الاثريين حضرة الاب رينه موتردفضبطها واتمَّ ما نقص منها وكشف القناع عن مضامينها وتاريخ كتابتها كما ترى

ΙΟΙΚΟΔΟΜΗ
ΓΟΘΕΤΗCΑΓΙΑCΜΑΙ·
CΕΛΕΗCΟΝΚSΑΝΑ
ΠCΟΥCΟΜΑΝΤΟΝΚΟΙ·
ΤΟΥΕΤΟΥCΕΞΧΧΡ
ΙΝΔΣΓ·

ودونك الكتابة تامة وافية مع ايضاح الفاظها المختصرة

[†] Οἰκοδομ(ήθη) (ἐν Χ(ριστ)ῷ (?)]
[τ]ὸ θε(μέλιον) τῆς ἁγίας Μα[ρίας]
ς?· Ἐλέησον κ(αὶ) ἀνά [παυσ]
[σ]ν Σουσομᾶν(?) τὸν κομι[ζόμεν] (?)
τοῦ ἔτους εξχ΄, χρ(όνοις)
ἰνδ(ικτιῶνος)γ΄

واليك ترجمته :

+ بنية (معبد) القديسة مريم (؟) بُنيت (في المسيح ؟) — (يا رب) ارحمنا واعطِ الراحة (الدائمة) الى سوزوماس (؟) مواطننا — سنة ٦٦٥ على عهد يوستنيانوس (الدور) الثالث

فنحوى هذه الكتابة تدشين معبد على اسم قديسة يبتدئ اسمها المشبوه بحرفي «ما ..» فيحتمل ان تكون مارينا او مارسيا والارجح انها مريم العذراء .. وذلك في سنة ٦٦٥ بمقتضى تاريخ مدينة صور الذي اوّلهُ ١٩ تشرين الاوّل من السنة ١٢٦ قبل المسيح فتوافق اذن سنةُ الكتابة السنةَ المسيحيَّة ٥٣٩ والدور الثالث من عهد يوستنيانوس (١ . ومنهُ يلوح انَّ الكتابة المذكورة راقية الى أيام يوستنيانوس اي القرن السادس للمسيح . وبها شاهد جديد على النهضة المادّيَّة والادبيَّة التي حصلت في جميع انحاء الشرق على عهد هذا الملك

أما اسم الذي اهتمّ بحفر هذه الكتابة وشيّد المعبد فليس تحقيقهُ سهلًا . فمن الممكن ان يقرأ ما ورد في هذا الاسم في السطرين الثالث والرابع على هذه الصورة Σουσομᾶν [παυσον] ἀνά وعليهِ يكون الاسم ارامياً شوشماس س ومعناه البسم

(١) يراد بالدور (indiction) مدّةٌ تتألف من خمس عشرة سنة فالدور الثالث يوافق السنة ٤٥ من حساب يوستنيانوس

وليس بالمستغرب ان يُدعى بعض الناس باسماء نباتيَّة كشربل مثلاً ومعناهُ الشربين فانهُ اسم احد القديسين الشهداء

ويجوز ان تقرأ الكتابة على صورة أُخرى هكذا ἀνά[πα]υσο[ν]Σωμᾶ فيكون الاسم Σωμᾶς اي سوماس عَلَماً مصريًّا والمسمَّى بهِ ملقَّب في كتابتنا بساكن الناحية او المواطن (κωμήτης) نسبة الى κώμη البلدة. وهذا التفسير افضل من ردّ الكلمة الى (κόμ(ης بمعنى الكونت (اطلب مجموعة كليَّة پرنستون Syria-Princeton III, B, 1161)

وتُذكِّرُنا فاتحة كتابتنا ما ورد في صدر كتابة العمتين التي نُشرت في مجلَّة الشرق المسيحي (Abel, *Orient Christ.* V, 1905, 224 et CIL, XIII, 2267) حيث ورد ما حرفهُ :

Ἐπὶ Βλαρίου ἐπισκόπου [κατε]τέθη ὁ θεμέλιος τοῦ ἁγίου Μα(κα)ρίου

فانَّ في هذا النصّ كما في كتابتنا قد ضرب صفحاً عن ذكر العبد فقال وُضِعَت عتبة القديس مكاريوس» بدلاً من «عتبة معبد القديس مكاريوس» كما جاء في كتابتنا «عَتَبَة القديسة مريم» والمراد عتبة معبد القديسة مريم

*

فلنعد الى ذكر رحلتنا :

أقمنا في معليا ثمانية ايَّام خصصناها برياضةٍ روحيَّة كان ختامُها يوم احد الثمانين. وكنَّا في مساء السبت حضرنا تمثيل قيامة لعازر التي يلعب ادوارها فوجٌ من اولاد المدرسة فينتقلون من بيت الى آخر ويتغنَّون باناشيدها الشجيَّة ويشخصون كل تفاصيلها بنوع انيق فاذا انتهوا من تمثيلها وقام الميت بأمر المسيح صرخ زعيمهم: «الذي يحبُّ المسيح يقول كيرياليسون» فيهتف رفقتهُ جميعاً كيرياليسون ويُسرع صاحب البيت فينفحهم ببعض الالطاف. وهي عادة لطيفة يألفها ايضاً اولاد المدارس في لبنان

وقد سُرِرنا في معليا لما رأينا في اهلها من الغيرة لامور خلاصهم وعلى ظنّنا انهُ لم يتأخر منهم احد عن تطهير نفسهِ وتنويرها بالاسرار المحيية. وقد حدث في اثناء هذه الرياضة ما كان عبرةً للجميع وذلك انَّ امرأة فاجرة كانت بينهم تُشكك الاهلين بسلوكها ولم تُصغِ الى مشورة العقلاء ولا الى انذار سيادة المطران والكهنة

الافاضل . وإذا دعوها الى حضور مواعظ الرياضة أبَتْ مزدريةً بهذه الدعوة . ففي اليوم الثالث من الرياضة وجدها اهلها في بيتها في حالة النزاع مضرَّجة بدمائها وما لبثت ان فارقت الحياة دون اشارة تدلُّ على توبتها قبل ان يحضر موتها احد الكهنة فانتشر الخبر في القرية انتشار البرق والكلّ يقولون : ماتت الشقيَّة ونالت جزاء اعمالها . فدفنوها دفن البهائم ولم يُفتح لها باب الكنيسة . فكان لهذا الحادث وقعٌ حسنٌ في قلوب الجميع وشملهم خوف الله العادل المنتقم من الخطأة عاجلًا او آجلًا

وقد مات على خلاف ذلك موت الابرار احد اولاد المدارس بعد خروجنا من معليا . فهذا كان ذهب يوم عطلة الى التنزه مع احد رفاقه فأوقدا نارًا لتحميص فول يأكلانه فقال الرفيق : ما اشدَّ حرارة هذه النار الآكلة . فاجابهُ الولد : وما هذه النار بالنسبة الى نار الهالكين ؟ . ثمَّ صرخ هاتفًا : دَعْني يا ربّي اموت ولا ارى نار جهنم . فكأنَّ الله سمع دعاءهُ فمات فجأةً تلك الليلة حافظًا في قلبهِ نعمة الرياضة وطهارة معموديّته

البصّة

تركنا البصّة خاتمة رياضاتنا فجعلنا نصيبها جمعة الآلام . والبصّة على مسافة ثلاث ساعات من معليا قطعناها على ظهر الجواد فمررنا على خربة المعاش ورأينا من بعيد قلعة القرين السابق ذكرها . وكانت طريقنا تمرُّ أحيانًا على آثار السكّة الرومانيَّة القديمة التي نُقر بعضها في الصخور

عدد اهل البصّة نحو ١٤٠٠ معظمهم كاثوليك (٨٠٠) اوّجهُ عيالهم بيت جبران خليل وخليل اسعد وبشارة الخوري وامين عيسى وبشارة اندراوس وابرهيم واكيم . ثم المسلمون (٥٠٠) ثمَّ الروم الاورثدكس والبروتستانت (١٠٠) . والغالب على اهل البصّة الفلاحة وبعض اعمال الصناعة . ومن مزروعاتهم التبغ

تتَّصل البصّة بسواحل فلسطين وسوريَّة فتأتيها السيَّارات من حين الى آخر اذ تسير جادةً بين رأس الناقورة وعكَّا وهي لا تبعد الَّا نصف الساعة من الطريق الواصلة بين سوريَّة وفلسطين وتستند الى جبل الناقورة الفاصل بين دواتي الانتداب

وقد تيسَّر لنا مدَّة اقامتنا في البصّة النزول الى جوار البحر لنفتقد المعاقبين هناك

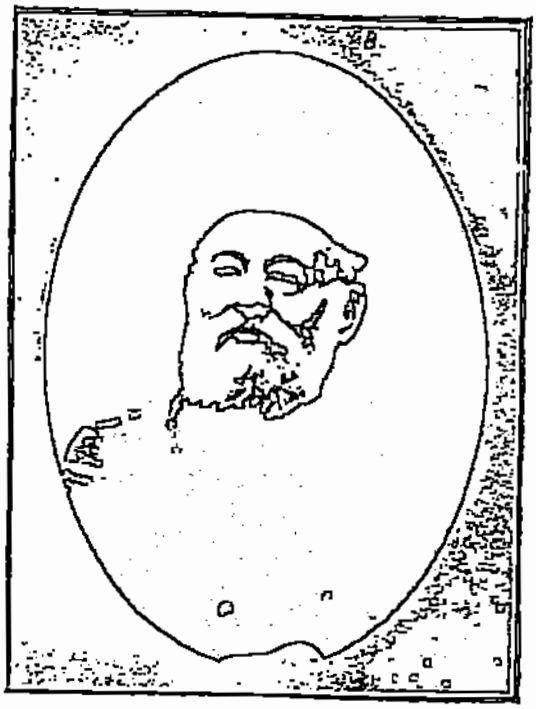

الاخ انطون عبدالله اليسوعي

فقيد الطباعة (١٨٥٣—١٩٢٣)

بالحبس فوجدنا عددهم نحو المئتين ليس بينهم الّا افراد من المسيحيين وهؤلاء المجرمون يخفرهم رجال الشرط ليلًا مع نهار ويرمون بالرصاص من حاول منهم الفرار بعد انذاره كما فعلوا آخرًا بواحد منهم فوقع قتيلًا واصاب قاتلهُ مكافأةً عن فعلهِ . والحكومة تعتني بمسجونيها فتقدّم لهم الاكل واللبس اللائقين وتفرض عليهم اشغالًا تنتفع منها البلاد وتقيهم عثرات البطالة وهم اليوم يشتغلون بفتح السكّة بين رأس الناقورة وفلسطين وسوف ينتهون منها بعد ستّة اشهر كما افادنا مدير السجن وهو انكليزي كاثوليكي

ختمنا هذه الرياضة صباح يوم عيد القيامة فما تبلّج فجرهُ حتى توارد القوم الى الكنيسة وباشروا مع كهنتهم الطقس المدعوّ عندهم بالهجمة يمثّلون بهِ نزول المسيح الى اليمبوس ثمّ يتبعهُ القداس الاحتفالي الصادع بقيامة ابن الله . فعاينّا الجمهور الغفير من المؤمنين يتقرّبون من مائدة الخلاص فتأكّدنا انّ اتعابنا لم تذهب سدًى ثمّ ختمنا تلك الحفلة الشائقة بمنح البركة الرسوليّة والغفران الكامل لهذا الشعب المطبوع على السذاجة والتقى

وفي ضحى النهار نزلنا الى عكا لمواجهة سيادة المطران راعي الابرشيّة فسرنا في سهول واسعة يظلّلها شجر الزيتون . البحر عن يميننا وعن شمالنا القناة التي بناها الجزّار . وكم خطر على ذهننا ما وقع في تلك السهول من الحروب منذ عهد المصريين والبابليين ثمّ في زمن الصليبيين الى زمن نابوليون بونابرت . كان دخولنا الى عكّا على الطريق اللاحبة التي تقطع السور وما لبثنا ان حظينا ببركة صاحب السيادة المطران غريغوريوس حيّار وبسطنا لديهِ نتيجة سياحتنا الرسوليّة فتنازل وابدى عن سموّ رضاه شاكرًا للرب عمّا نالهُ ابناؤهُ من وسائل الخلاص وغزير النعم

وبعد قليل حان الوقت للاحتفال برتبة هذا النهار السعيد اعني رتبة الباعوث فتمّت بكل رونق وورع مع النظام التامّ وسُرِرنا خصوصاً لاستماع انجيل الفصح بلغات مختلفة كمألوف عادتهم . وكنيسة عكّا من اجمل كنائس الروم الكاثوليك لها الايقونستاس البهيّ المزدان بالصور الجميلة الموشّاة بالذهب وارضها مفروشة بالرخام ومقاعدها من الخشب المزخرف

امّا تاريخها فيرتقي الى زمن ظاهر العمر وكان هذا الامير قد اتّخذ لهُ كاخيةً

ابراهيم الصبّاغ الرجل الوجيه الشهير فحظي عند الامير حتى صار من اخصّ اصحابه فالتمس منهُ الرخصة لبناء هذه الكنيسة فاجاب الى طلبهِ فتشيّدت على احسن هندام ثمّ توسّعت وتزيّنت بتوالي الايام حتى اصبحت من ابدع كنائس الطائفة

امّا مدينة عكّا فلا تمتاز عن سواهـا من مدن السواحل اللهمّ الّا بسورهـا الضخم الذي يكتنفها ولا زالت المدافع القديمة التي هناك تشهد على ما رأتهُ هـذه الصخور من المعارك الدمويّة بين الشرق والغرب. ثمّ علمنا بعد رجوعنا ان السلطـة العسكريّة البريطانيّة في فلسطين تصرّفت بهذه الدافع فباعتها كحديد بالمزاد العلني فبيع الطن بثمن ١٩٠ غرشاً صحيحاً وبلغت زنتهـا الف طنّ فاشتراها تجـار اليهود في حيفا

وفي صباح ثاني عيد القيامة في ٢ نيسان قدّمنـا باكرًا الذبيحة الالهية وتزوّدنا ببركة السيّد رئيس اساقفة عكّا وقفلنا راجعين الى بيروت شاكرين لهُ تعـالى عمّا أتاح لنا في هذه السياحة الرسوليّة من النعم السابغة لمجد اسمهِ وخير النفوس

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف القاف

٦٣٦ ﴿قدامة بن جعفر﴾ ابو الفرج الكاتب البغدادي كان نصرانيًّا ثم اسلم توفي سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢م) . ١ وجدنا لهُ في مكتبة الوارنة في حلب كتاب قمعة الاريب في تفسير الغريب . ٢ وفي مكتبة الاسكوريال في مدريد (ع ٢٤٢) نسخة من كتابهِ نقد النثر المعروف بكتاب البيان. وقد نُشر لهُ في الاستانة كتاب نقـد الشعر سنة ١٣٠١ . ومن كتبهِ المفقودة كتاب الخراج

٦٣٧ ﴿القدسي﴾ هو غريغوريوس نعمه مطران دمشق السرياني الكاثوليكي